مشهد

الكاتب سفيان ل

بقلم: سفيان ل

تصميم الغلاف: سفيان ل

الطبعة الأولى: 2022

رقم التسجيل:

حساب الكاتب: fb.com/soufiane.ebssi.3

هام

هذه النسخة خاصة بموقع فولة ولا يحق لأي جهة نشرها، أو استخدامها لأي غرض إلا بإذن خطّي من الكاتب

مقدمة

تخيل نفسك آخر الشهود.. تسترجع الماضي ويقتلع الرعب قلبك بينما تروي كل ما حصل

كيف يختنق الحزن في رحم الظلام

وكيف تنتهي الحياة بابتسامة ثائرة.. في مشهد واحد

رسالة من الكاتب

دعمك هو الشيء الوحيد الذي يدفعي لأستمر، **لا تنسى نشر إقتباس أعجبك من هذا الكتاب**، فهذا سيكون أفضل ما تقدمه لي ككاتب يشق طريقه في الزحام...

سفيان ل

مقدمة

رسالة من الكاتب

الفصل الأول

الفصيل الثاني

عن الكاتب

صدر للكاتب

الفصل الأول

انقلب الظلام فجأة وعكر صفوه ذرات نور مبعثرة تقترب مضطربة عبر شباك الغرفة المطل على الفناء.. تحرك النور مسرعا ينقض على ظلام الليل يهلكه شيئا فشيئا ومعه صخب مقبلٌ نحّى الصمت وسكينة الليل جانبا ليُخرج النائمين من غفوة بالكاد نعموا بها، من حلم هادئ كان يداعب خيالهم كالنسيم. كان الضوء يقترب مسرعا يتسلل عبر شباك الغرفة يشوش ظلمة الليل، بينما أزيز محرك سيارة توقفت توا على مقربة من بابهم حركت فيهم جانبا مظلما لم يكونوا يرجون حدوثه، فتحت الأبواب وسمع صداها يهز الليل رعبا، تلاه صوت أقدام يدب الأرض يهزها ويهز صدورهم خوفا...

دقات الباب اقتلعت قلبه من صدره... جمدت العروق وأحرقت فتات الهمة بداخلهم جميعا.. التموا حوله واحتضنهم محاولا مواساتهم...محاولا طمأنتهم بصوت يدعي به الأمل والشجاعة: لا تقلقوا.. ولكن زوارهم مستعجلون.. كُسر باب الغرفة الخشبي بضربة واحدة ليفتح معه أبواب الجحيم. كأن لون الليل تغير هذه المرة وغطّاه حقد دفين... بدأت أقدام تلوث أرضهم تقترب منهم شيئا فشيئا، وهم كأوراق الخريف تساقطت دموعهم وذبلت ملامحهم؛ هزهم الموقف.. بدأت أنوار الكشافات تكسر ظلمة الغرفة بعنف تحجب طهارة ضوء القمر تعمي عيونهم... تخرجهم من حال إلى حال.. ظهرت أمام الزوج أقدام اشباح آمرة بصوت

مزعج: قفوا... ! كأنما امتلكوا الأرض ومن عليها، كأنما امتلكوا الحق وصاروا خليفة الله في أرض ليست لهم...

كمن هوى في عتمة الليل داخل بحر عميق نطق بصوت يغطيه الخوف يكسره ذل الضعف الذي حل به؛ نطق الزوج: أرجوك سيدي نحن لا نملك شيئا

نظر إليه بابتسامة من ينوي الشر بلا قيود بكل محرماته: أنت تملك كل شيء... كخنجر يطعن شرفه، ينتهك حرمته، مد يده فاتحا كفه وبدأ يتحسس وجه ابنة الرجل يلامس شفتيها بإصبعه يشدها برفق تارة، وبعنف تارة أخرى.. شفة لم تنطق حرفا بوجوده.. مكملا كلامه وتلك الابتسامة مازالت تطبع الشر على وجهه الكريه، ومعها تذيب مرارة الضعف في كل خلايا الزوج؛ أحس بتشنج كأنما الدم تسمم في عروقه، كانت نواياهم تأخذه بعيدا وتعيده،؛ تنقله بين أفكار عديدة أولها ضعف وآخرها انهزام وهو كالضرير تائه بينها..

كل هذه الثروة وتدعي الفقر قال الكريه.. بحركة بإصبعه مشيرا لجنديين يرافقانه انقضوا على الزوج كأشباح خلقت توًّا من عدم، أمسكوه بإحكام.. وهو يحاول بصوت هذبه هول الموقف شوشته حرقته باكيا، بصوت بعثرت حروفه، بصوت يخنقه الألم وتجرحه أحزان تطبق على صدره العليل طالبا الرحمة: أرجوك سيدي...

كأن صوتا لم يخرج من فمه، كأن شيئا لم يكن، كأنهم ليسوا بأرضهم وليسوا بشر.. سحب القائد الطفل الصغير من حضن والدته يرتعش جسده الهزيل بين يديه وأشار مجددا بإصبعه ليأتي الجندي الذي وقف حارسا على باب الغرفة ممسكا الطفل.. ليخلي الجو لقائدهم.. ويخلي الصورة من إطارها الذي أوجد ليحميها من كل قذارة...

على حاله مازال مبتسما تلمع عينيه.. ببطيء فتح فمه مبتسما بغرور كأنما امتلك سر الحياة، كأن الكون صار بقبضة يده.. بدأ يخلع رداءه الأخضر الذي بدى داكنا اسودًا، من حقارة أفعاله وليس من ظلمة الليل. بدأ ينظر بلذة للاثنتين مقتربا رافعا يديه كمن انتصر في حربه. بعدما خلع كل ما كان يلبسه وخلع قناع الشرفاء وكل معاني الأدب.. اقترب أكثر وأكثر بخطوات بطيئة واثقة، انحنى أمامها والبنت مُطأطِئة رأسها، نطق بصوت خافت على مقربة من أدنيهما صوت كفحيح أفعى:

- إن اعترضتم، إن قاومتم، سندعوا عليهما بالرحمة.. واعذراني لن أدعوا معكم فإلهي لا يقبل الدعاء..

ثم بحركة خاطفة التف صارخا:

- من يتحرك زفّوه لأرض البقاء.. دعونا نعجل لقائه بربه

وضحك هازئا وبعدها بصوت هادئ قال وهو ينظر بلذة للبنت:

- فلندع اليوم يمضي كأنه حلم جميل، ألا تحلمين بيوم كهذا..

وبدأ يضحك هذه المرة بصوت أعلى، وتبعه الجنود بضحكات بغيضة أيقظت رجولة طفل في الخامسة من عمره؛ كان جسده الهزيل ينتفض خوفا يهتز من داخله؛ بركان يغلي من الغضب... انتهز الفرصة وعضّ الجندي في يده وراح يجري محاولا صيانة شرف امرأة خرج من صلبها، باكيا يصرخ اتركو... لم يكمل الكلمة!

رصاصة غطا على صوتها صراخ أمه وأخته؛ تخترق رأسه تطرحه أرضا.. سالت دماء نقية تغسل الأرض من أثر أقدام دنستها ومعها حزن مكتوم يحرق ما بقي من كرامة بصدر والده، بنيان زلزلت أركانه وسقط؛ لم يره فالدموع كانت تسير كمجرى النهر حجبت الرؤية عنه، سمع صوته، سمع أنّته الأخيرة، سمع جسده وهو يتهاوى أرضا يهز عرش السماء وكل عروش الأرض الصامتة.. موته أحرق ما تبقى بداخل الزوج حاول الحراك بلا حيلة، بكل قوته حاول جاهدا.. بكل قوته حاول أن يصرخ، بكل قوته حاول أن ينتفض، ولكن الحزن كتم صوته والعمر حكم عليه بالضعف، والمرض كسر رجولة كان يأمل أن تكون الآن. فلا وقت للرجولة غير

الآن... الأوغاد يمسكونه بإحكام.. وضعف العمر يكسره.. يمنعه الحراك.. والحزن يطفئ كل ذرة أمل...

يسمع أنين ابنته وزوجته، يسمع أصواتا لا يطرب لها إلا شيطان رجيم، يعرف معناها جيدا، أصوات تحرق الدمعة التي تسيل في عيونه، تحرق الدم في عروقه مليون مرة تجعل دقات قلبه أقوى من كل هزات الأرض مجتمعة... مر العمر في لحظة لا نعرف كم دامت، حتى فرغ الذئب المتلذذ من سفك دماء نقية وأكلِ لحمٍ طاهر.. فرغ من متعة فانية جاء لأجلها...

تركها ودموعها تغسل دماء عذريتها، والروح تستنجد بالله طالبتاً الرحيل تزف أحلاما إلى متواها الأخير وتذرف دمعا دافئا يسقي أرضا لم تعد صالحة للخيال... ووالدتها ملقاة بجانبها لا تقوى على الحراك من ذل ما حصل، من حزنٍ اشتد أوقف تفكيرها، أخرجها عن وعيها... من دماء نزفت في قلبها قتلت الحياة في صباها..

بقي الزوج واقفا زمنا لا يدرك مدته وفجأة انهار بنيانه مستسلما بلا حيلة.. صاحت الروح أنينا وهي تخرج باكية لخالقها تدعوه إسكان الصبر على صدور أسرته التي احترقت... راح ليحرس روح طفله الصغير، مات حزنا تاركا وراءه قلوبا تدق بشقاء في جسد تعرى من الأمل وغطّته الدماء... ساد الصمت الغرفة ولكن الحياة مستمرة والحزن طُبع بداخل الجميع إلى يوم الرحيل؛ يوم تبتلع الأرض دماء

أهلها وتعود كما كانت.. ساد الصمت الذي عكره صوت بيادة سعيدة تنقر الأرض راحلة ببطئ لأرض جديدة.. وتسدل الستار على مشهد واحد دام عمرا بأكمله.. ومازالت الأرض مبتلة بدمائه...

الفصل الثاني

أربع سنوات خَفُت فيها ضوء القمر وارتفعت أصوات الراكعين على أرض غطّتها الدماء.. لم تقبل صلاتهم حتما! فقد ضاع كل شيء حتى الذكريات، مات كل شيء فينا حتى روح البقاء، لم يبقى غير الذل يخنق أرواحنا ليل نهار.. يأخذنا من حيث لا ندري إلى حيث لا ندري بغير رضانا، فكل ما نملك على أرضنا وداخل بيوتنا وحتى في قلوبها هو وعد الفناء، حتى مصائرنا لم تعد بين أيدينا إن كانت بالأساس.. بعدما خسرنا كل شيء.. حتى نقاؤها لوثته الأيام القاسية..

مرت أربع سنوات وأرضي لم تجف بعد، ودموعي ما تزال دافئة كما كانت، والتربة خصبة للأحزان والألم.. كل شيء تغير، حتى أنا، لا شيء بداخلي على قيد الحياة، تُقطع أوصالي حين أمد بصري نحو تلك الرقعة حيث ماتوا جميعا بذل لم يصنعوه، بذنب لم يخلقوه، كُتب من السماء أو صُنع بيد البشر هذا لا يهم، فالموت يمسح كل شيء إلا المشاعر والذكريات.. كل تلك الصور تقتلني من جديد.... لماذا تركتني ألقى هذا المصير... واضح أنك تكرهني.. ولكني أحبك... قالتها وهي تتلعثم في حروفها والدمعة تتسلل هاربة من قلبها ترجوا الرحيل. آه أنت تعرف كل شيء، المشاعر بداخلي تقتلع القلب من مكانه، كالجمر تحرقه.. كالطفل تحمل أحزانها بين ذراعيها وترفعها داعية السماء، أحبك، وأعلم أنك تراني، تسمعني فقد كنت دائما تعيدني من الهاوية إلى الطريق الصحيح، كفرت بكل شيء عرفه

البشر ولكني آمنت بك، وحدك.. وكرهت ظلمك.. أحبك حقا ولكنك تركتني يومها أذل، كان الموت أهون يا ربي، ذلك الذل أحرق كل شيء، كيف تبرر ما حصل، ليس ذنبي كل هذا ولا أرجوا عذرا يخلقه البشر..

ها أنا اليوم بمفردي بين جدران لا تحميني إلا من ضوء النهار.. الكل أذلني بعدما صرت وحيدة، فأين كنت تغيب حين أذل، ام أنك كتبت كل شيء بيديك.. لماذا ترفض موتي، لماذا تنقذني كل مرة من الانتحار.. لماذا لا تدعني ألقاك.. لا يهمني كلام البشر. لا يهمني كل تلك الخطب، وكل هذا التبشير، سئمت من أصوات البشر، كلهم كبيرهم وصغيرهم، فكلهم مجموعة منافقين، وبعض القطيع يردد ما تم حشوه بعقولهم.. لا شيء يهمني من كلام أهل الأرض ولكني أريد سماع الرد منك.. زادت دموعها وزاد الحزن في قلبها ولكن سكينة عجيبة تحل بداخلها تهون كل هذا الشقاء، سكينة تجعلنا مؤمنة، بحثت بداخلنا عن شيء من السعادة ولم تجد، عن بعض الأمل، ولا شيء هناك، واصلت أفكارها بحزن شديد يشد أوصال القلب: ولكني أعرف أنك تريد إرضائي قبل موتي، على يقين أنك تريد ذلك.. الآن ككل يوم أكملت تلات ساعات في الدعاء، وعادت إلى الركن حيث احتضنهم آخر مرة. ذلك الركن الذي سفكت فيه

دماؤها لترتمي بين أحضان الألم، وتغفوا حتى يأتي النهار.....غفت على صوت استغفارها..

حان الصباح حاملا معه بعض الرقع في ثوب الأمل... تسلل صوت خطوات يسبقها ظل يحجب ضوء الشمس خلف بابها.. لحظات وبدأ الباب يئن وجعا من ضربات الزائر القاسية..

كانت قد تحضرت قبلها بساعات، وقفت حاملة أزرها وسارت خارجة من أبواب أمل مقفلة راجية المستحيل.. استقلت الشاحنة والأمن يحوطها ومرافقها يرأسهم بزيّه المموه يفتح باب الشاحنة ومن ثم بصوت منغم بقوة الأمر يشير إليها بالصعود. مشت الشاحنة طريقا طويلا، ولكنه طريق طويل من الوجع والذكريات مر سريعا حتى فتح الباب مرة ثانية أمام محكمية عسكرية، نفس الصوت مجددا يخرجها من أحلامها لواقع من الأمل القاتم، استلت نفسها من بين مشاعر الألم والخلاص وحملت كل الحمل بقلبها وأخرجت رأسها تتذوق نسمات الصيف المكتومة وتأمل بشيء جديد...

أبواب مأمنة وجنود هنا وهناك، ككل جلسة نفس الحماية ونفس التأمين المبالغ فيه، ونفس الطرقات القاتمة بلونها الغير معلوم، كل شيء سار كما هو الحال دوما، حتى امتثلت أمام نفس الرجل تنتظر الحكم في قضيتها... ونادى المنادي

- فتحت الجلسة

كما فتحت كل جلساتها السابقة

- ما الذي تغير

تقولها في خاطرها بابتسامة يكتمها الوجع. جلس الرجال أمامها وعلى يمينها بعض الجنود تحرص قضبانا خالية لا تحبس إلا الأمل، وعلى يسارها جمع من الجنود تجلس وليس من أحد يدري ماهو دورهم في هذا اليوم اللعين...

تكلم القاضي العسكري كثيرا كأنه لم يقل شيئا، نفس الكلام الفارغ يعيده في كل مرة، ببعض الإضافات الغير مجدية.. كل شيء لا يهم، بقيت تنظر إليه سارحة في خيال لعين، حتى حان وقت سماع كلمتها الأخيرة قبل النطق بالحكم...

وقفت تحمل معها ثقل الأحزان والذل سنينا طويلة، ولسانها يحمل مذلة الدنيا بأكملها لتنطق ببعض كلمات بسيطة تختمها بسؤال صريح...

- سيدهم القاضي، لست هنا لأسمع نفس الكلام ككل يوم.. هل ستعيد لي حقي؟

نظرات غاضبة اعتلت وجوه الضباب من أصغرهم لأكبرهم، ووجوه كشرت عن قسوة لا يعرفها الشر في قسوته.. ولولا وجود بث مباشر وبعض الإعلام ينقل الحدث لكانت الآن في مكان لا يصله إنس ولا جن...

رفع القاضي طرف عينيه ونطق بصوت مثقل من اللامبات:

- الحكم بعد المداولات

ماهي إلا دقائق حتى نطق القاضي بصوت عالي يرج أركات الغرفة

- حكمت المحكمة برفض القضية لعدم وجود أدلة ملموسة

صمت اشتد وجوده ثانية واحدة، حتى تهب فيه بقوة قوة..

- لا يوجد أدلة ملموسة

قالتها بصوت تخنقه غصة الظلم الساكنة أربعة سنوات في قلبها..

- شرفي المنتهك أكبر دليل، أسرتي التي اختلطت دماؤها بدماء عذريتي دليل ملموس... دماء طهرت أفعال رجل منكم.. تلك أدلتي

ولم تعطهم فرصة لمنعها حتى أكملت وهي ترفع الصوت وتأمر القاضي المستعد للهروب من مواجهتها متحججا بانتهاء القضية:

- قف وخاطبني كالرجال..

جملتها هزت كيان الحاضرين، ليتحسسوا أسلحتهم ولكنها أكملت بقوة

- ما دليلك أنهم لم يفعلوها غير تلك الأنواط التي حصّلوها، غير زيهم الأخضر، رتبهم العسكرية؟

كلهم صاروا يريدهم الخلاص منها، وقبل أن يرد القاضي ليوقفها، خاطبته بقوة من جديد..

- ارفع عينيك وأنظر إلي كرجل حقيقي

تلك العبارات البسيطة هزت رجولتهم المصطنعة، وأوصلتهم لذروة الرغبة في قتلها.. لتخلع ملابسها كاملة وتصرخ في وجه القاضي الذي أشاح بعينيه بعيدا..

- أنظر أيها الرجل، هذه أدلتي، أنظر كيف شوهو مهبلي بالحمض، أمعن النظر

كانت تصرح آمرة الرجل شامخة أمامه، وهو مطئطئ الرأس لا يقوى على رفع عينيه، ليجري بعض الحرس محاولين سترها بزيهم العسكري..

ردتهم... صرخت فيهم بقوة

- لا يشرفني أن يلمس جسدي هذا الزي العفن، لو كنتم رجالا لحميتم عرضي..

أكملهم متحدية كل الجنود الكارهين، الراغبين في تعذيبها حد الموت...

- لو منكم رجل واحد هنا، فليقف لينكر أنه اغتصب وشوه نساءا مثلي..

كرتها بقوة أكبر وهي تنظر مباشرة لأكبر رتبة حاضرة بين الجنود

- لو منكم رجل واحد فليقف ويقسم أنه لم يغتصب ولم يغتل بدافع الشهو

تمّت

عن الكاتب:

كاتب ومصمم مغربي مواليد 21 أكتوبر 86، حاصل على بكالوريوز في الأدب، مقيم في المغرب، قدم العديد من الأعمال أبرزها كتاب ندوب وقد تم نشره سنة 2022..

كما لديه العديد من الأعمال من بينها نوفيلا مشهد والتي نشرت سنة 2020، ونوفيلا في الجحيم سنة 2020، وكتاب شبه حياة وغيره من الأعمال الأخرى...

صدر للكاتب:

نوفيلا بعنوان إنسان سنة 2023

نوفيلا بعنوان في الجحيم سنة 2020

مجموعة نصوص أدبية بعنوان مهاجر سنة 2022

مجموعنة نصوص أدبية بعنوان تّدوب سنة 2022

ديوان بعنوان شبه حياة سنة 2021